الحكومة والذباب

رأى احد مستخدمي الحكومة المصرية بالامس ان يبدل رقماً برقم آخر في دفتر يده فرق الحساب بسببه نحو مئة غرش لم تخسرها الحكومة ولا كسبها هو ولا خسرها احد ولا كسبها احد لانهُ فعل ذلك بعد نقل الحساب الى الدفاتر التي يحساب عليها فقامت عليهِ قيامة الحكومة من بوليسها ونيابتها وقضاتها وحكموا بادانتهِ ولا يبعد ان يحكموا عليهِ بالشنق او بما يقاربهُ . ونحن ورجال البوليس ورجال النيابة ورجال القضاء والمديرون والمفتشون والمستشارون والنظار نرى القتلة كل يوم يقتلون غيرهم بعد ان يذيقوهم العذاب الوانًا ولا مَن يعترض ولا مَن يطالب

وقد عنونا هذه المقالة عنوانًا غريبًا لا نظن ان احدًا يفهم المراد منهُ غير الاذكياء . ولكن غموض معناهُ على رجال الحكومة كلهم لا يعفيهم من تبعة القتل التي نشير اليها وكيف لا يعفيهم وهم يهتمون بمن يحرّف حرفًا او يغير وقفًا جهلاً منهُ او لغير قصد مني وهو ويتركون زيدًا ينتاب شراك الردى لمئة نفس حتى يمرض كثيرون منهم و يموتوا بعد ان يتقلبوا على فراش الضنى اياما واشهرًا

اما المعنى الذي نشير اليهِ فهو هذا : ثبت منذ مدة ان الحمّى التيفويدية التي يموت بها الوف كل سنة من سكان هذا القطر وتدخل بيوت الامراء كما تدخل اكواخ الصعاليك حاصلة من جراثيم صغيرة تكون في براز المصابين بها فاذا أُلقي برازهم في الطرق والشوارع ووقع عليها الذباب كما يقع عليها عادة علقت هذه الجراثيم بارجلهِ ثم انهُ يقع على الطعام او يقع فيهِ فتصل الجراثيم الى الطعام ويتعرّض الذين يأكلونهُ لهذه الحمى الخبيثة و يصاب بعضهم بها حتمًا فيمرضون ويموت بعضهم ان لم يموتوا كلهم .

واي رجل من رجال البوليس او رجال الصحة او رجال النيابة او رجال القضاء او رجال الادارة يرى الناس يرمون المبرزات ويحسب ذلك ذنبًا عليهم يحاكمون عليهِ واي رجل من رجال الادارة يعلم علم اليقين ان جارهُ نصب الحبائل لاغتيال ابنهِ او اخيهِ ولا يردعهُ عن ذلك ولا يقيم عليهِ النكير . ولكن كل مَن يلقي الاقذار في الشوارع وكل من يلقيها في اي مكان كان من غير ان يصبّ فوقها مادّة سامّة تميت ما فيها من الجراثيم هو بمثابة رجل ينصب الشباك ليصيد الناس ويميتهم بعد ان يعذبهم عذابًا اليمًا ورجال الصحة والادارة ينظرون اليهِ ويغضون الطرف

والخوف من الذباب قديم فقد جاء في الحديث " اذا وقع الذباب في اناء احدكم فامقلوهُ (اي فاغسلوهُ) فان في احد جناحيهِ داء " . ولكن اثبات ذلك عمليًا بالمشاهدة والامتحان حديث . وقد بحث الدكتور هورد الاميركي بحثًا مدققًا في هذا الموضوع وقال في مقالة نشرها في اول

هذا العام في مجلة العلم العامّ الاميركية انهُ لمَّا نشبت الحرب الاخيرة بين اسبانيا واميركا سنة ١٨٩٨ تفشَّت الحمَّى التيفويدية بين الجنود الاميركية في اماكن كثيرة فقال كثيرون من اطباء الجيش ان سبب تفشيها الذباب لان المراحيض تكون قرب المطابخ والمطاعم في كثير من المعسكرات فتنقل الذبان جراثيم الحمى من المراحيض الى الطعام. وكتب حينئذٍ الدكتور فيدر مقالةً مسهبة في السجل الطبي موضوعها "الذباب لنشر الامراض بين الجنود" اقام فيها الادلة الكثيرة على ان الذباب ينقل جراثيم هذه الحمى وهو سبب انتشارها. وكان كثيرون من الاطباء قد ذهبوا الى مثل ذلك منذ سنة ١٨٨٨ ولكن لم يعمل بقولهم فرض خمس الجنود الاميركية بالتيفويد ومات كثيرون منهم بها حتى قدَّروا ان اربعة اخماس الوفيات كانها كانت بهذه الحمى

والذباب انواع مختلفة كما لا يخفى ولكن الذباب الذي يرى في البيوت عادةً اكثرها انتشارًا ولا يخلو منهُ بيت ولاسيما المطابخ وبيوت الطعام واكثرهُ يتولَّد من زبل الخيل لا لانهُ ينشأ منهُ كما قال الدميري وغيرهُ من علماء الحيوان بل لان الذبابة تبيض في الزبل ثم يتولد الذباب من بيضها. وقد جمع الدكتور هورد ٢٣٠٨٧ ذبابةً من البيوت والمطابخ واستقصى نوع كل ذبابة منها فوجد الذباب العادي منها ٢٢٨٠٨ اي نحو ٩٩ في المئة وهو يبيض ويتولَّد في زبل الخيل عادةً لكنهُ يبيض ويتولَّد ايضًا في مبرزات الناس كما ثبت لهُ بالامتحان والمشاهدة. ويحوم على المبرزات اذا كانت مطروحة قرب المنازل وفي الشوارع القذرة وقد يبيض ويتولَّد فيها ايضًا وهذا شأن نوع آخر من الذباب يسمى ذباب الفاكهة وهو كثير الوقوع على المبرزات ولكنهُ غير كثير كالذباب العادي

ثم ان جراثيم الحمى التيفويدية توجد في مبرزات من يصاب بها قبلما يثبت انهُ مصاب بها وتوجد في مبرزاتهِ بعد ما يشفى من الحمى بايام فتكون مقرًّا للعدوى قبل ظهور الحمى بايام ومدة ظهورها وبعد شفائها بايام حتى اذا طُرحت هذه المبرزات بقرب المنازل اجتمع الذباب عليها وحمل جراثيم العدوى منها على ارجلهِ واجنحتهِ ونقلها الى الطعام الذي يجتمع عليهِ او يقع فيهِ

وقد رأينا في الصيف الماضي ان الذبان قليلة جدًّا في مدينة باريس على ما كان فيها من الازدحام الفائق الحد وكثيرة جدًّا في جبال سويسرا على بعد المنازل وتفرُّق الناس فيها ولا يعلَّل ذلك الاَّ بأن الاشياء التي تتولد الذبان فيها لم تكن موجودة في باريس لشدَّة الاعتناء بالنظافة ولأن المراحيض كلها مقفلة لا سبيل للذبان اليها واما في جبال سويسرا فالمراحيض مكشوفة وكذلك مزارب الخيل والبقر والزبل اكوام فيها وامامها فيجد الذباب مكانًا صالحًا

لتولدو وتكاثرو فيتكاثرو وينمو ولا سيما في ايام الحر . والظاهر ان حرارة الزبل تقيهِ برد الشتاء فيبقى من سنة الى أُخرى

ونحن في هذه العاصمة وفي كل مدن القطر المصري وقراهُ نشكو مرَّ الشكوى من كثرة الذباب صيفاً وشتاء ولو اقتصر ضررهُ على ما نشعر بهِ من القلق والضجر من كثرة وقوعهِ على البدن والطعام وادوات القراءة والكتابة لهان امرهُ ولقلنا انهُ من جملة المتاعب التي لا تخلو بلاد منها. ولكن ضررهُ لا يقف عند هذا الحد بل ان الجانب الاكبر من الرمد والعمى ناتج عنهُ والجانب الاكبر من الامراض المعدية تنتقل عدواهُ بهِ

وقد اتضح مما تقدم انهُ اذا لم يوجد في بلد زبل ومبرزات مكشوفة حيث يبيض الذباب ويولد استئصلت شأفتهُ من ذلك البلد ولو كان من اشد البلدان حرارة واكثرها ازدحاماً فلي كان استئصالهُ ممكناً في مدينة كبيرة مثل باريس في اشد الشهور حرارة واكثر الاوقات ازدحاماً فعلى مَ لا يكون ممكناً في كل مدينة ؟؟؟

ونعود الى رجال الحكومة الذين يحاسبون كل احد على كل هفوة وتراهم قائمين بالمرصاد لكل من يغير رقماً ويحرّف حرفاً ونقول لهم ان كانت القضايا المتقدمة حقائق راهنة ان كان الذباب ينشر عدوى الرمد والتيفويد والدفتيريا والكوليرا والسل واكثر الامراض المعدية وان كان يولد في زبل الخيل ومبرزات الناس وان كان تنظيف المدن من هذه الاقذار ممكناً وهو مما يستطاع حتى في اكبر المدن واكثرها ازدحاماً فعلى مَ لا تبذلون الهمة في تنظيف هذه العاصمة وغيرها من مدن القطر وعلى مَ لا تسنُّون قانوناً يعدُّ من يلقي الاقذار في الشوارع مجرماً يستحق المحاكمة كمن يتربص لقتل غيرهِ والى متى يحسب رجال الادارة انهم يستطيعون ان يديروا شؤون العباد وهم لا يعلمون العلوم الطبيعية ولا يخبرون على حسب ما تأمر بهِ

ثم ان مطالبة رجال الحكومة بتنظيف البلاد لا تعفي الرعية من معرفة هذه الحقائق والعمل بها . ولا ينتظر من رجال الحكومة ان يعملوا ما يطالَب بهِ كل انسان في بيتهِ ودارهِ ولا هم قادرون ان ينظفوا بلداً لا يساعدهم اهلهُ على تنظيفهِ فيجب ان ترسخ الحقائق المتقدمة في اذهان الرعية قبل رسوخها في اذهان رجال الحكومة . وسقياً لبلاد يعلم رعاتها ورعيتها كل المكتشفات العلمية وكل النتائج التي يُوصَل اليها العلم الطبيعي ويعملون بها. " والامة التي تعلم بنيها التعليم الاكثر تصير العظمى بين الامم ان لم يكن اليوم فغداً " كما قال الفيلسوف جول سيمون . ولا تفلح امة ما لم يكن وزراؤها علماء كما قال الفيلسوف ارسطوطاليس